RESEARCH ARTICLE

The Rhetoric of Foundation in the Prophet's Biography (The Dialectic of the Quranic Constant and Historical Interpretation)

Mohammed Wadi Shanawa

Al-Muthanna University , College of Basic Education , Department of History, Iraq

ABSTRACT

This study delves into the concept of foundational rhetoric in the Prophetic biography through the dialectical interplay between Quranic constants and historical interpretation. The authors argue that the Prophetic discourse was not merely reactive but rather a contextual rhetorical extension of the Qur'an, embodying values such as monotheism, justice, and mercy to construct a society rooted in a dynamic Quranic reference. The research emphasizes that the term "foundational rhetoric" refers to the discursive capacity to shape reality and identity, moving beyond traditional aesthetic or stylistic rhetoric. The Prophet's discourse functioned as a foundational framework that guided collective behavior and rearticulated Quranic constants in context-sensitive, pragmatic expressions rather than in abstract formulations. Adopting an integrated pragmatic-rhetorical, narrative, and historical-critical methodology, the study examines key moments in the Prophetic biography—such as the speeches at Hijrah, Badr, and the Conquest of Mecca, as well as foundational acts like the Pledge of Aqabah and the Constitution of Medina. It warns against the excessive politicization and ideological projections that reduce the biography to a secular historical record devoid of revelatory significance.

Keywords : **Prophetic Biography (Al-Sirah Al-Nabawiyyah) , Quranic Constants , Historical Interpretation , Prophetic Rhetoric , Text-History Dialectic.**

مقالة بحثية

بلاغة التأسيس في السيرة النبوية (جدلية الثابت القرآني والتأويل التاريخي)

محمد وادي شناوه الكريطي

جامعة المثنى ، كلية التربية الأساسية ، قسم التاريخ ، العراق

الملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم بلاغة التأسيس في السيرة النبوية من خلال جدلية الثابت القرآني والتأويل التاريخي، ساعيًا إلى الكشف عن التوازن الضروري بين الرسوخ القيمي للنص القرآني وبين الواقعية التأويلية لأحداث السيرة، ويرى الباحث أنّ الخطاب النبوي لم يكن مجرد ردّ فعل ظرفي، بل كان امتدادًا بلاغيًا مقاميًا للخطاب القرآني، جسّد من خلاله النبي ﷺ قيم التوحيد، والعدل، والرحمة، وبنى بها مجتمعًا قائمًا على مرجعية قرآنية متجدّدة، فضلاً عن تركيز البحث على مفهوم "بلاغة التأسيس" بوصفها قوة خطابية تؤسّس للواقع وتبني الهوية، وليست مجرد بلاغة بيانية أو جمالية، ومن ثمَّ فالخطاب النبوي . كما يرى البحث . كان خطابًا تأسيسيًا مركزيًا يوجّه حركة الجماعة، ويعيد إنتاج الثوابت القيمية بصيغ تداولية وظيفية ترتبط بالمقام والحدث، لا بالنص المجرد، وقد اعتمد البحث على منهجٍ بلاغي تداولي وسردي تاريخي نقدي، لتحليل نصوص السيرة وفقًا لمداخل: المقام، الوظيفة، المعنى المؤسّس، والتأويل، متناولًا نماذج مثل: خطبة الهجرة، وبدر، والفتح، وبيعة العقبة، ووثيقة المدينة، كما أنّه حذّر من مخاطر التسييس المفرط والقراءات الحداثية المسقطة التي تُفرغ السيرة من مرجعيتها القرآنية، وتحوّلها إلى نص تاريخي فاقد للبُعد الرسالي.

الكلمات المفتاحية : السيرة النبوية ، الثابت القرآني ،التأويل التاريخي ، البلاغة النبوية ، جدلية النص والتاريخ .

Received 07-09- 2025; revised 22-09-2025; accepted 15-10- 2025. Available online 25-10- 2025

* Corresponding author.

E-mail addresses: alKrytymhmd@mu.edu.iq **(M.W. Shanawa) .**

https://doi.org/xx.xxxxx/2572-5440.1049

2572-5440/© 2025 The Author(s). Published by Al-Muthanna University. This is an open-access article under the CC BY-NC-SA license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/).

المقدمة

تحتلّ السيرة النبوية مكانة مركزية في التكوين العقدي والثقافي الإسلامي؛ إذ تمثّل الامتداد التطبيقي والتاريخي للنصّ القرآني، وتجسّد فعل التأسيس النبوي لمفاهيم: (الدولة، والأمة، والهوية، والتشريع، والعلاقات الاجتماعية) إلّا أنّ قراءة هذه السيرة لطالما خضعت لتأويلات متباينة، تأرجحت بين الرواية التاريخية المحكومة بالسياق والمقصد، وبين الخطاب البلاغي المتعالي الذي ينشد الكشف عن وظائف النصّ في أبعاده التداولية ولإقناعيه؛ ومن ثَمَّ فإنّ التداخل بين الثابت القرآني والتأويل التاريخي يفتح المجال أمام بلاغة التأسيس بوصفها مدخلًا لدراسة السيرة النبوية من منظور يتجاوز السرد الخبري إلى تحليل البنية الخطابية ومقاصدها.

لقد تناولت مدوّنات السيرة الأولى، نحو: سيرة ابن إسحاق(ت151هـ) في رواية ابن هشام(ت218هـ)، ثمّ أعمال الواقدي(ت207هـ)، والطبري(ت310هـ)، حياة النبي ﷺ على أنّها سجلّ وقائع يُقدَّم في سياق خطّي تاريخي يركّز على الحوادث والمعارك والتحوّلات المجتمعية، غير أنّ القراءة الحديثة للسيرة ولاسيما من زاوية التحليل البلاغي والنصّي، تكشف عن أنّ كثيرًا من تلك الحوادث كان يحمل طابعًا تأسيسيًا مقصودًا يُراد له أن يُنظّم الوعي الجمعي، ويؤطر السلوك الجماعي للأمة في ضوء خطاب قرآني يحكم الحاضر، ويفتح أفق المستقبل.

إنّ بلاغة التأسيس مصطلح يتقاطع مع ما أسماه بول ريكو في نظريته عن الخطاب المؤسس بـ(الذاكرة المؤسسة) أي أنّ الخطاب الذي يُنتج المعنى ويوجّه الحراك التاريخي والثقافي[17- ص143]، ويُعدّ الخطاب النبوي بخطبه وأفعاله ومواقفه امتدادًا تداوليًا للنص القرآني، يُعيد إنتاج الثوابت التشريعية في صيغ مقامية تتفاعل مع الوقائع، وتؤسّس لمعانٍ تتجاوز لحظتها التاريخية، من هنا تنشأ إشكالية البحث في هذا التداخل المركّب بين الثابت القرآني الذي يمثّل الأصل التشريعي والخطابي، وبين التأويل التاريخي الذي ينتج عن إعادة رواية هذا الثابت ضمن مدوّنات السيرة بما ينطوي عليه من انتقاء، وتوجيه، وسياقات ثقافية لاحقة؛ أي أنّ البحث يسعى إلى مساءلة الكيفية التي انتقلت بها مفردات التأسيس النبوي من فضاء الوحي القرآني إلى فضاء التلقّي التاريخي، مستندًا إلى أدوات البلاغة التداولية والتحليل السردي والنقد التاريخي في آنٍ واحد.

تتجلّى أهمية هذا البحث في كونه يسهم في تحرير السيرة النبوية من ثنائية الجمود النصي أو الإسقاط الإيديولوجي عبر مقاربة بلاغية تداولية تبيّن كيف كان للنبي ﷺ خطابٌ يوازي في بلاغته وتأثيره النص القرآني، ويكمل مشروعه التأسيسي. كذلك يسهم في كشف أثر البنية القرآنية في تشكيل الخطاب النبوي لا بوصفه تابعًا، بل امتدادًا واعيًا وظيفيًا يحقّق المقتضى البلاغي في كلّ لحظة تاريخية. فضلاً عن تحليل طرائق التأويل التاريخي في مدوّنات السيرة ومقدار تماهيها أو انزياحها عن الثوابت القرآنية ممّا يمكّن الباحث من التمييز بين البلاغة التأسيسية الأصلية والبلاغة التأويلية الطارئة.

ولبلوغ هذه الغايات سينتهج البحث منهجًا مركّبًا يتراوح بين المنهج البلاغي التداولي: لتحليل الخطاب النبوي في سياقه المقامي وأبعاده التأثيرية. والمنهج السردي: لرصد طرائق البناء القصصي في تقديم السيرة داخل المدونة. والمنهج التاريخي النقدي: لاختبار مدى التزام أو تجاوز التأويل التاريخي للثوابت القرآنية في سياق إعادة كتابة السيرة. ويقوم هذا البحث على مبحثين :

المبحث الأول - بلاغة التأسيس في الخطاب النبوي بين الامتداد القرآني والوظيفة التاريخية

تُعدّ بلاغة التأسيس أحد المفاهيم المركزية في فهم الخطاب النبوي؛ إذ يحيل هذا المصطلح إلى قدرة الخطاب على إحداث فعل تنظيمي تأسيسي ليس في المجال الديني فحسب، بل في الوعي الجمعي، وبناء الجماعة، وترسيخ المبادئ الأخلاقية والتشريعية. وهذه البلاغة لا يمكن فصلها عن المرجعية القرآنية التي تصوغ المفاهيم الكبرى وتضع الأطر النظرية التي يستلهم منها النبي ﷺ أفعاله وخطابه التأسيسي؛ لكنّها في الوقت ذاته تتنزّل في سياق مقامٍ تاريخي مخصوص ما يضفي عليها بعدًا تداوليًا فاعلًا يجعلها تشتغل في أفقين: الامتداد القرآني، والوظيفة التاريخية.

وقبل الخوض في مطالب هذا المحور سنعمد للوقوف في هذا المهاد عند بعض المفاهيم التي نراها حَرِيّة بالذكر لحلحلة بعض المغاليق التي قد تعترض سبيل رؤية المتلقي حين الاستقراء، ومنها:

أ- مفهوم بلاغة التأسيس

يُفهم من هذا المصطلح تلك القوة الخطابية التي يمتلكها النص في لحظة استثنائية من لحظات التكوين بحيث لا يكون الخطاب مجرد توصيف للواقع أو انعكاس له، بل فعلًا يُنتج المعنى ويشرعن الواقع ويوجّه حركة الجماعة، ويجد هذا المعنى جذوره في النظرية البلاغية العربية القديمة، حين ربطت البلاغة بالفعل والتأثير والمقام، كما عبّر عن ذلك السيرافي بقوله: ((افهم عن نفسك ما تقول، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك وقدر اللفظ على المعنى، فلا يفضل عنه، وقدر المعنى على اللفظ، فلا ينقص منه، هذا: إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى، وبسط المراد، فأجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة والاستعارات الممتعة))[12- ص127] ، وإن كانت البلاغة الكلاسيكية قد توقّفت عند وظيفة التأثير والإقناع، فإنّ مفهوم التأسيس يوسّع هذه الوظيفة ليجعل الخطاب النبوي مؤسِّسًا للواقع لا مجرد مستجيب له، وهو ما يُشبه (فعل الكلام) في التداوليات الحديثة، كما بلوره أوستن في نظريته عن الأفعال الإنجازيه ؛ إذ إنّ قول الشيء هو فعل شيء.[14 -ص115،128]

ب- الامتداد القرآني للخطاب النبوي

الخطاب النبوي لا يمكن أن يُفهم من دون إحالة مستمرة إلى القرآن بوصفه المصدر الأعلى للتشريع والهداية، فالقول النبوي يتأسّس على قول سابق(القول

الإلهي)، وينزّل مضامينه على واقع الأمة، وقد عبّر العلماء الأوائل عن هذه العلاقة بقولهم إنّ السُّنة شارحة للقرآن، غير أنّ العلاقة بين القرآن والسنة ليست علاقة شرح فحسب، بل علاقة امتداد بلاغي ووظيفي، فالخطاب القرآني -بحسب طبيعته- لا يقدّم التفاصيل الجزئية، بل يضع القيم الكلّية، ويترك للنبي ﷺ أن يترجمها بحسب السياق، وقد ذهب عدد من الباحثين المحدثين إلى أن الخطاب النبوي هو جزء من [بلاغة التنزيل] لكنّه يتموضع في مقام الحدث لا مقام التشريع المجرّد؛ ومن ثم فإنّنا نجد النبي ﷺ لا يكرّر النص القرآني، بل يعيد صياغته سلوكيًا وخطابيًا ليتماشى مع طبيعة اللحظة التاريخية التي يواجهها، وقد لخّص هذا المعنى الطاهر ابن عاشور لمّا أشار إلى إنّ من دقائق التشريع النبوي أنّه يجري مجرى المبيّن لمعاني القرآن الكريم، ومسالك تنفيذها على الوقائع، وفيه ما لا يُدرَك إلّا بالاستنباط من صنيعه ﷺ.[25- ص44-45]

ت- الوظيفة التاريخية للخطاب النبوي

الخطاب النبوي بوصفه تجسيدًا للبلاغة التأسيسية، كان دائمًا موجّهًا إلى واقع متحوّل: بناء دولة، تنظيم مجتمع، مواجهة أعداء، ترسيخ قيم، توطيد ولاء، تعديل أعراف... إلخ. وهذا ما جعل السيرة النبوية ليست سجلًّا للوقائع فحسب، بل نصًا ذا وظيفة بلاغية تأسيسية، ففي خطب النبي ﷺ –كخطبة المدينة، وخطبة بدر، وخطبة الوداع – نجد تواشجًا بين البلاغة القرآنية والحدث التاريخي، حيث يتلبّس النص بوظيفة الأداء والتنظيم والتوجيه، وليس مجرد إبلاغ جامد، وقد أشار إلى ذلك احد الباحثين من عدم كينونة النبي محمد ﷺ رسولًا ومصلحًا وقائدًا، ولم يُلقِ كلماته لمحض الوعظ فحسب، بل كان يرسم بتلك الكلمات خطوط العمل ويوجّه بها حركة الأمة[37- مقالة، العدد 48143]، وهذه الوظيفة التأسيسية للخطاب النبوي هي ما يجعل السيرة النبوية قابلة للدراسة البلاغية من منظور يركّز على القول المؤسّس لا الحدث المجرّد، وعلى المعنى التداولي لا المجرد اللفظي.

ث- البلاغة في مقام التأسيس: من البيان إلى البنيان

إنّ بلاغة الخطاب النبوي لا تُدرَس من حيث فصاحته أو جزالة ألفاظه فحسب، بل في سياق البنية التنظيمية التي ينتجها؛ فالرسول ﷺ حين يؤسّس مفهوم (الأمة) مثلًا، فهو لا يحدّث عن جماعة دينية فقط، بل يرسم حدود الانتماء والولاء والمعيار الأخلاقي الذي يحدّد من هو (منّا) ومن هو (ليس منّا)، وهي بلاغة ذات أثر بنائي في الاجتماع السياسي الإسلامي، وقد تنبّه بعض الباحثين لهذا المعنى فأشار إلى أنّ السيرة ليست مجرد أحداث تحكيها الرواية، بل هي بنية متكاملة من الرموز والإشارات والقيم، فيها خطاب يستهدف بناء الأمة[31- ص11].

ج- البلاغة التأسيسية في القرآن: من التشريع إلى التمثيل النبوي

يُقصد بالبلاغة التأسيسية في القرآن تلك القدرة الخطابية التي يتفرّد بها النص القرآني في تأصيل المفاهيم الكبرى، وترسيخ البُنى الأولى للهوية الإسلامية من دون أن تكون البلاغة فيه محصورة في البنية الجمالية أو الفصاحة البيانية، بل هي بلاغة وظيفية مقصودة، تهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع في ضوء مشروع رسالي ممتد.

إنّ القرآن الكريم لا يعرض قضاياه الكبرى – كالوحي، والنبوة، والأمة، والجهاد، والعدل، والعقيدة – على أنّها موضوعات مجرّدة، بل يُنزّلها في سياق خطاب تأسيسي يهدف إلى إحداث التحوّل السلوكي والاجتماعي، وذلك عبر وسائل بلاغية تجمع بين الإقناع العقلي، والتوجيه الأخلاقي، والتحفيز العملي، ممّا يجعل هذا الخطاب مؤهّلًا لأن يُمثّل الإطار المرجعي الأعلى لرسالة النبي ﷺ؛ ومن ثمّ فإنّ النبي حين يمارس فعل التأسيس في الواقع فإنّه لا يبدأ من الصفر، بل يشتغل ضمن منظومة بلاغية قرآنية تمهّد له، وتفتح له الآفاق التأويلية والتنظيمية التي تُمكّنه من تحويل القول الإلهي إلى سلوك بشري ونظام اجتماعي.

ح- مظاهر البلاغة التأسيسية في القرآن الكريم

يمكن تلمّس مظاهر هذه البلاغة عن طريق ما يأتي:

أ- التقعيد المفاهيمي للمفردات المؤسّسة: مثل(الحق، الباطل، الأمة، الشورى، الطاغوت، الهجرة، البيعة، الجهاد، العدل، الإصلاح، الميثاق، الكتاب، الذكر، الصراط، الحكم...) فكلّ هذه المفردات ليست مصطلحات لغوية جامدة، بل هي محاور بلاغية تُبنى من خلالها بنية المفاهيم الإسلامية، وقد أشار فاضل السامرائي إلى أنّ المفردة القرآنية تؤسّس دلالة منضبطة ضمن سياق مقصود، بحيث لا تكون مرادفة لما سواها، بل تؤدّي وظيفة مخصوصة لا يمكن لغيرها تأديتها بالأثر نفسه[32- ص9].

ب- البنية الإنشائية ذات الأثر المؤسِّس: كالأوامر والنواهي: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [1 - النور:56]، ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [1- البقرة: 190، 244]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [1- الكوثر:2].

فهذه الصيغ الإنشائية لا تُراد لبلاغة أسلوبها فحسب، بل لتأثيرها في بناء النظام السلوكي للمجتمع المسلم، وقد رأى أبو موسى أنّ البلاغة في الأمر والنهي القرآني لا يقصدان لذاتهما، بل بوصفهما وسيلة لإحداث فعل يُراد له أن يؤسّس قاعدة في حياة الفرد والجماعة ترتبط بمعاني الوجوب والتحريم والإباحة[34- ص111-112].

ت- الربط بين البلاغة والوظيفة الاجتماعية: لم يكن الخطاب القرآني يعرض صورًا أدبية مستقلة عن الواقع، بل كان يصوغ الواقع نفسه، ويقترح بدائله، وينتج نظامًا قيميًا جديدًا، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [1- آل عمران: 110] فهذه الجملة البلاغية التأسيسية لا تصف واقعًا حاصلًا، بل تنتج تصورًا معياريًا لما ينبغي أن تكون عليه الأمة.

– من الخطاب القرآني إلى التمثيل النبوي: الترجمة العملية للتأسيس

لقد كانت البلاغة القرآنية تضع النبي ﷺ أمام مشروع تأسيسي ضخم لا

يقتصر على الهداية العقدية، بل يشمل كلّ مناحي الاجتماع السياسي والأخلاقي والديني؛ ومن ثمّ فإنّ التمثيل النبوي لهذا التأسيس كان ينهل من معين الوحي ويُعيد إنتاجه بلغة الواقع والحكمة المقامية. وتتجلى الترجمة النبوية للبلاغة القرآنية في مواقف مثل:

أ- الهجرة النبوية: بوصفها تطبيقًا تأسيسيًا لمعاني الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام بعد أن مهّد لها القرآن بمفهوم [الهجرة] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ [1- الأنفال: 72]، فالرسول لم يهاجر فرارًا، بل تأسيسًا لوضع جديد تستند شرعيته إلى النصّ.

ب- وثيقة المدينة : تمثيل مباشر لمفهوم [الأمة] كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [1- البقرة: 143]؛ فالنبي ﷺ أسّس بها لمجتمع متعدّد الأديان والأعراق، وفقًا لتعاقد أخلاقي وسياسي هو أول دستور مدني في الإسلام.

ت- بيعة العقبة والحديبية: حيث تُتَرجَم مفاهيم [الميثاق]، و[الطاعة]، و[الثبات] الواردة في مواضع عديدة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [1- الفتح: 10]، وهذه البيعات لم تكن مجرد طقوس، بل محاور تأسيسية تُبنى عليها الولاءات السياسية والعقدية، وقد عبّر أحد الباحثين عن هذا المعنى حينما عرض لأنواع البيعة وجرد أدلتها الشرعية، وأفصح عن دورها في تأسيس السلطة ونظام الحكم وانّها ليست مجرد طقس؛ وعليه فالنبي ﷺ هو المؤسِّس الذي تُرجمت على يده المفاهيم القرآنية إلى نظم عملية، وبه تحوّل القول إلى كيان، والبلاغة إلى شرعة[20- ص172-198].

– المبحث الثاني : القول النبوي بوصفه امتدادًا تأسيسيًا للقول القرآني: الوظيفة المقامية والبعد التداولي

يُشكّل القول النبوي محورًا بلاغيًا فريدًا في الحضارة الإسلامية؛ إذ لا يُقارب بوصفه كلامًا بشريًا مجردًا، بل بوصفه خطابًا يصدر عن نبيٍّ مؤيَّد بالوحي، يُجسّد به مبادئ القرآن، ويوسّع مجاله التداولي ليشمل الواقعَ التاريخي الحي، فهو من هذه الزاوية امتداد وظيفي وبلاغي للقول القرآني لا من حيث المصدرية فحسب، بل من حيث التأسيس للمعنى والفعل.

ويتميّز القول النبوي عن القول القرآني بخصيصة المقامية والزمنية؛ إذ يُلقى في سياقٍ مخصوص، ويخاطب جماعة بعينها، ويعالج واقعة محددة، ومع ذلك فإنه يحتفظ بصفة الامتداد المرجعي للثابت القرآني؛ لأنّه لا يُقال إلّا بوصفه تجليًا لمبدأ قرآني سابق، أو توضيحًا له، أو تنزيلًا له على واقعة جزئية؛ وهذا ما جعل كثيرًا من علماء الأمة يتعاملون مع الحديث النبوي– في خطبه وأقواله ومواقفه – بوصفه نصًا مؤسِّسًا لا تابعًا، وقد قال الشاطبي في هذا السياق:((أَنَّ السُّنَّةَ إِمَّا بَيَانٌ لِلْكِتَابِ، أَوْ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ بَيَانًا؛ فَهُوَ ثَانٍ عَلَى الْمُبَيَّنِ فِي الِاعْتِبَارِ، إِذْ يَلْزَمُ مِنْ سُقُوطِ الْمُبَيَّنِ سُقُوطُ الْبَيَانِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ سُقُوطِ الْبَيَانِ سُقُوطُ الْمُبَيَّنِ، وَمَا شَأْنُهُ هَذَا؛ فَهُوَ أَوْلَى فِي التَّقَدُّمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيَانًا؛ فَلَا يُعْتَبَرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ لَا يُوجَدَ فِي الْكِتَابِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تقدم اعتبار الكتاب)) [35-4/296]، أي أنّ السُّنة بيان للقرآن، إمّا بزيادة تفصيل، أو بتعيين مجمل، أو تقييد مطلق، أو تخصيص عام، وكلّها تأسيس لا تكرار.

- الامتداد التأسيسي للقول النبوي: من التفسير إلى التشريع

تجلّى القول النبوي بوصفه امتدادًا تأسيسيًا للقرآن في صور عدّة، منها:

أ- البيان التأسيسي للأحكام المجملة: القرآن يضع الأصول، والرسول يبيّن التطبيق المقامي لها، نحو قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [1 - البقرة: 43]، لم تُبيَّن كيفيتها في النص القرآني، فجاء القول النبوي ليؤسّس الفعل الشعائري: ((صلّوا كما رأيتموني أُصلّي))[23- 4/543] ، فهذا الحديث لا يشرح فحسب، بل يؤسّس النموذج الفعلي الذي يُحتذى به في سلوك المسلمين عبر العصور، وهو ما يمكن تسميته ببلاغة القدوة الفعلية؛ إذ يتحوّل النصّ النبوي إلى معيار تشريعي.

ب- التمثيل المقامي لمفاهيم قرآنية كبرى: نحو: مفهوم [الولاء والبراء] الذي يُؤسّس له القرآن في قوله تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [1-المائدة: 51]، جاء القول النبوي في لحظة تاريخية حاسمة ليجسّد هذا المفهوم: ((أخرجوا اليهود من جزيرة العرب))[32- 8/224] ، هذا القول وإن بدا سياسيًا في مظهره، فهو في جوهره قول تأسيسي يستكمل التنزيل القرآني ضمن واقعة مقامية مخصوصة، أي أنّ النبي ﷺ لم يبتدع هذا القول، بل أنجزه في بُعده التداولي، بما يوافق مقام الدولة والتمكين آنذاك.

- إعادة صياغة القيم القرآنية بلغة الواقع

أعاد النبي ﷺ تقديم قيم القرآن بلسانٍ مقاميّ تواصليّ لا بلغة الموعظة المجردة، ومن ذلك ما ورد في قوله ﷺ: ((من غشّ فليس منّا))[21- 2/326] ، هذا القول على قصره هو بلاغة تأسيسية قِيَمية، تؤسس معيار الانتماء الأخلاقي للجماعة، وتربط بين السلوك الفردي (الغش) والهُوية الجماعية (الانتماء لـ "منّا")، وهو بالتحليل التداولي فعل لغوي إنشائي يحدّد الحدود الرمزية للأمة، وقد نبّه احد الباحثين إلى هذه الوظيفة التأسيسية للقول النبوي وهو في صدد حديثه عن أسلوب الدعوة في القرآن الكريم، والحجاج أحد طرق الدعوة، فقال: ((حين أمر الله سبحانه أن تكون الدعوة بالموعظة الحسنة شاء أن يكون الجدال بالتي هي أحسن))[15- ص464] فحديث النبي ﷺ كان جملة من الأفعال الكلامية التي تؤسّس للعرف الإسلامي في الأخلاق والمعاملة، لا شرحًا سرديًا لنصوص القرآن فحسب.

- الوظيفة المقامية للقول النبوي: السياق، والتوجيه، والبناء

إنّ القوة التأسيسية في القول النبوي لا تُفهم إلا عن طريق المقام الذي يُلقى فيه، فالنبي ﷺ لم يكن يخاطب الجمادات، بل أفرادًا، جماعات، خصومًا، مؤمنين جددًا، مهاجرين، أنصارًا... ممّا يجعل كل قول يتضمن أداءً مقاميًا يراعي:

- الزمن (قبل/بعد الهجرة، في حال السلم/الحرب)

- الوظيفة (تعليم، تحذير، تعبئة، مصالحة)
- النوع الخطابي (وصية، أمر، تحذير، ميثاق، دعاء)

مثال على هذا: خطبة حجة الوداع، وهي من أقوى نماذج القول التأسيسي النبوي، إذ يجتمع فيها:

- تثبيت القيم القرآنية (حرمة الدماء، الأموال، الأعراض)
- إعلان اكتمال الرسالة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [1- المائدة: 3]
- إعادة إنتاج لمفاهيم قرآنية بصيغة مقامية فعلية.

فخطبة الوداع تعدّ بحقّ ((من أعظم الوثائق التاريخية التي أرست ركائز المجتمع الإسلامي خصوصًا، وجاءت دستورًا للإنسانية جمعاء تستقي منها قيمًا حضارية وأبعادًا إنسانية، لا تستثني أحدًا من البشر، حيث كان خطابه يتجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية التي قالها فيها، لاشتمالها على جوامع الكلم، وأصول الأحكام في السياسة والاقتصاد والأسرة والأخلاق والعلاقات العامة والنظام الاجتماعي))[27 - ص67] ، أي أنّها دستور أخلاقي عملي جمع فيه النبي ﷺ خلاصة رسالته، مؤسّسًا بها للعالم الإسلامي المقبل.

- القول النبوي بين التداول والشرعية

من زاوية نظر التداوليات فإن القول النبوي يُعدّ فعلًا لغويًا تأسيسيًا؛ لأنّه لا يكتفي بوصف الواقع، بل يُغيّره ويصنعه، وقد أكّد علماء أصول الفقه هذه الخاصية حين قالوا: إنّ فعل النبي وقوله حجة ما لم يدل دليل على الخصوص[29 -336/1- 337]، وما يُعزز هذا التحليل التداولي هو انّ القول النبوي دائمًا مقرون بسلوك، فالرسول ﷺ لا يكتفي بأن [يأمر]، بل [يؤدّي]، ولا يعلن المبادئ فحسب، بل [يُجرّبها] ممّا يضفي على أقواله بعدًا تشكيليًا تأسيسيًا يترجم النصوص إلى ممارسات.

- المبحث الثالث : الحدث النبوي بين التوجيه البلاغي والتأريخ الوظيفي(دراسة في خطب الهجرة، وبدر، والفتح)

إنّ الأحداث المفصلية في السيرة النبوية لم تكن مجرد وقائع عسكرية أو تحوّلات اجتماعية، بل كانت لحظات خطابية عالية التوتر تنطوي على بلاغة مقصودة، تُستعمل لتوجيه الأمة، وتأصيل المعاني، وترسيخ المرجعيات؛ ولهذا فإنّ دراسة الحدث النبوي لا تكتمل من دون الوقوف عند الخطاب الذي يُرافق الحدث؛ لأنّه يمثّل التفسير البلاغي للموقف، ويحوّل الواقعة إلى نص مؤسس؛ ولذلك فإننا في ضوء البلاغة التداولية نُفرّق بين:

أ- الحدث بوصفه واقعة تاريخية: تُروى وتُسرد وتُنقل.

ب- الحدث بوصفه واقعة خطابية تأسيسية: تُؤطَّر وتُوجَّه وتُوظَّف.

وهذه اللحظات التاريخية لها من الأهمية ما لها كونها تمثّل لحظات تأسيسية، لحظات بناء التاريخ الواجب قراءته وتدارسه عبر الأجيال، فـ((أمة لا تدرس التاريخ خارج التاريخ))[34- مقالة، العدد (50298)] ، لأنّ الأمم لا تنهض بذاكرة الأحداث فحسب، بل بنصوص المواقف، وخطابات التأسيس، لأنّها تعبّر عن لحظات الوعي الجماعي المتحوّل، أي أنّ الحضارة الإسلامية تتطلّب استيعابًا عميقًا للقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وأن خطب الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل جزءًا أساسيًا من هذا المنهج.

خطبة الهجرة: تأسيس الانفصال البنيوي والاصطفاء الإيماني

الهجرة لم تكن انتقالًا مكانيًا فحسب، بل كانت فصلًا بلاغيًا تأسيسيًا بين مرحلتين: مرحلة الدعوة المستضعفة، ومرحلة الدولة المؤمنة؛ وقد مثّل خطاب النبي ﷺ في سياق الهجرة نموذجًا للبلاغة المفصلية، التي تؤسس للانتماء الجديد، وتُعلي من قيمة الاصطفاء العقدي، فقد قال ﷺ في طريقه إلى المدينة مخاطبًا أهل قباء والأنصار: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))[26-1083/2] ، فلو عمدنا إلى تحليلها تحليلًا بلاغيًا تداوليا فإنّنا نلحظ الآتي:

أ- أفشوا السلام: دعوة تأسيسية لبناء مجتمع سلمي في مقابل بيئة مكة الصراعية.

ب- أطعموا الطعام: تأسيس لنمط اقتصادي تعاوني يعكس الهوية الجديدة.

ت- تدخلوا الجنة بسلام: ربط عملي بين السلوك الاجتماعي والجنة، أي أن الجنة هنا ليست وعدًا غيبيًا، بل ثمرة تأسيس اجتماعي.

ومن ثمَّ فالخطاب هنا يقدّم نموذجًا تأسيسيًا للمجتمع البديل عبر بنية إنشائية، واقعية، ووظيفية.

- خطبة بدر: التأسيس على التضامن العقدي والولاء العملي

معركة بدر كانت أول مواجهة عسكرية مع قريش؛ لكن النبي ﷺ لم يقدّمها في خطابه بوصفها حربًا صِرفةً، بل بوصفها حقل ابتلاء واختبار للثوابت، وقد ورد في خطبته لأصحابه قبل القتال قوله: ((والذي نفس محمد بيده، لا يُقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابرًا محتسبًا، مُقبِلًا غير مُدبر، إلّا أدخله الله الجنة))[3-457/2] ، ولو تقصّينا هذا الحديث وفقًا للبلاغة التداولية فإنّنا نقف على الآتي:

أ- القَسَم: [والذي نفس محمد بيده]: خطاب تعبوي تصعيدي يؤسّس لمعنى الفداء النبوي.

ب- الثنائية: [مُقبِلًا غير مُدبر]: بلاغة التقابل تؤسّس لمنظومة السلوك في المعركة.

ت- الجنة: ليست وعدًا بعديًا بل نتيجة وظيفية لسلوك الجندية في سياقها المقامي.

هذا الخطاب لا يُلقي بيانًا حماسيًا، بل يُعيد رسم العلاقة بين الموت، والانتماء، والجزاء، في ضوء التأسيس العقدي للهوية الجهادية الإسلامية.

خطبة فتح مكة: التأسيس على العفو الرسالي والهيمنة القيمية

في لحظة نادرة من لحظات النصر تجلّت بلاغة النبي ﷺ في أبهى صورها حين أعلن مبدأ العفو الشامل والمصالحة المجتمعية، مخالفًا أعراف العرب في

الانتقام، قائلًا لأهل مكة بعد الفتح: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[22-48/8]، لتنجلي الرؤية البلاغية التداولية لهذا الحديث عن المعطيات الآتية:

أ- هذا القول المفرد المختزل يمثّل بلاغة السلطة الأخلاقية.

ب- [الطلقاء] كلمة مأخوذة من تقاليد القبائل؛ لكنّها أُعيدت صياغتها في خطاب نبوي يؤسّس للتطهير الرمزي بدل الانتقام.

ت- الخطاب تحويلي: لا يعفو فحسب، بل يؤسّس لقيم السيادة المعنوية بدل الهيمنة القسرية.

وقد أفصح باحث اسلامي عن هذا الموقف من سرده لتجليات الخطاب النبوي بوصفه ثورة تحوّلية للأمة-تأسيسية حضارية تستند إلى قيم وليس إلى انتقام، ومن ثم تحويلها على نموذج وعي حضاري عام لا أداة استبداد[6- ص 85.75] ، أي أنّ النبي ﷺ إذا قال الكلمة أعلاه، فقد تجاوز بها الانتقام السياسي إلى التأسيس الحضاري، حيث تصبح الأمة جامعة لا مستبدة.

– المبحث الرابع - جدليّة الثابت القرآني والتأويل التاريخي في قراءة السيرة النبوية

يمثّل الثابت والمتغيّر أحد أعمق الثنائيات الفكرية في الفكر الإسلامي؛ إذ تتجلّى هذه الإشكالية في محاولة الجمع بين مرجعية نصّية مقدّسة تمثّلها الوحي(القرآن والسنة)، وبين الواقع التاريخي المتحوّل الذي تتنزّل فيه هذه النصوص وتتفاعل معه، وتزداد هذه الإشكالية تعقيدًا في ميدان السيرة النبوية؛ لأنّها تقع على تخوم الحسَّين: التاريخي والقدسي، البشري والرسولي، الواقعي والمثالي، وقد أشار احد الباحثين إلى مركزية هذا التوتر المعرفي؛ لمّا قال: ((أن بعض الأحداث في حياة النبي يجب أن يُنظر إليها على أنها آية تستحق القراءة بدل النظر إليها على أنها وقائع وظواهر...نبوة النبي محمد عبارة عن رسالة أخلاقية))[7- ص185]، فهو يشير إلى ضرورة مراعاة الفرق بين الحدث بوصفه أثرًا زمكانيًا، والحدث بوصفه تنزيلًا رساليًا، ولابدّ هنا من بيان بعض الرؤى المفاهيم لتسهيل فهم مقاصد هذا المحور، ومنها:

– مفهوم الثابت القرآني ووظيفته التأصيلية

– الثوابت القرآنية هي المبادئ الكليّة القطعية التي لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان، وتشكّل المرجعية العليا لأيّ تأويل أو تأريخ أو تحليل للسيرة النبوية، بل ولأيّ فعل بشري مسلم، وهذه الثوابت ليست مجرد أحكام فقهية، بل تشمل:

– القيم التأسيسية الكبرى: (العدل، الحرية، الكرامة، التوحيد، الأمانة، الشورى، الصدق، المسؤولية...)

– المبادئ التوجيهية الكبرى: (الميزان، الكتاب، الأمة الوسط، الرحمة، البلاغ المبين...)

– التصورات العقائدية والأنطولوجية: (النبوة، الوحي، الحساب، الغيب، القضاء والقدر،...)، وقد اصطلح الفقه على تلك القضايا بـ((ممّا عُلِم وجوبه من الدين بالضرورة))[8- ص86] ، فهي من الثوابت التي وظيفتها الأساس أنّها تضبط حركة الفهم، وتمنع الانزلاق نحو التسييس أو التحريف أو التسطيح عند تأويل الأحداث التاريخية أو تفسير أفعال النبي ﷺ.

– مفهوم التأويل التاريخي وحدوده

يُقصد بالتأويل التاريخي: محاولة فهم أقوال النبي ﷺ وأفعاله ومواقفه ضمن سياقها الزمني والاجتماعي والسياسي المحدّد من دون تجريدها من شروطها الواقعية، وهو أمر مشروع بل مطلوب في ضوء تطوّر أدوات المعرفة؛ غير أنّ هذا التأويل يظل خاضعًا لجملة قيود منها:

– عدم التعارض مع الثوابت القرآنية.

– عدم نفي الصفة التأسيسية للقول أو الفعل النبوي.

– تمييز ما هو مقام خاص عمّا هو تشريع عام.

– تفادي الإسقاطات الأيديولوجية المعاصرة.

وقد أشار الباحث حسن حنفي إلى ضرورة الفصل بين التأويل بوصفه إجراءً علميًا، وبين التأويل بوصفه أداةً تبريريةً، فالمناهج ليست قسطاسًا مستقيمًا، بل هي أدوات، وقد لا تعبر حقيقة، فلابد أن تُرجَع إلى جوهر النص كي لا تصبح وسيلة لمسخ الهوية الرسالية ؛ إذ ليس كل تأويل تاريخي علمًا، فبعضه تبرير للعجز، وبعضه أداة لطمس المثال الرسالي[10- ص53]، فوجود منهج التأويل بحدّ ذاته ليس ضمانًا لصحة النتائج، وإذا لم يرجع النقاد للنص ومقصده الرسالي، فقد يتحوّل إلى وسيلة لإخفاء الحقيقة أو لتأجيل مسؤولية الفهم الحقيقي

– توتر العلاقة بين النص التأسيسي والواقع التأويلي

تنشأ الجدلية من التوتر بين:

1. النص التأسيسي الذي يعمل بمنطق [المثال]، ويمثّل سلطة معيارية عليا.
2. الواقع التأويلي الذي يعمل بمنطق [الواقع]، ويمثّل استجابة بشرية لفهم المقاصد.

ولذلك قد يؤدّي الإفراط في القراءة التاريخية إلى:

– تفريغ الحدث النبوي من قدسيته

– إضعاف فعل التأسيس لصالح فعل التكييف

– تذويب الثوابت في سائل الظرفيات

فالمشكلة لا تكمن في التأويل، بل في تحويل الوحي إلى وثيقة زمنية، ونزع البعد الناظم عن السيرة وهذا ما عبّر عنه رضوان السيد في قوله: ((لكنّ الجديد الكثير الذي ظهر في فقه الدولة وفي فقه الدين، والذي أفضى إلى رؤيةٍ جديدةٍ للعالم، صار مغنياً عن اللجوء الدائم إلى التأصيل، والاكتفاء بممارسات التأويل الاجتهادي والتجديد على النصوص والمواقع والأحداث)) ، فهنا يُبرز أن الاكتفاء بقراءة متن التأويل التاريخي من دون إطار تأسيسي ناظم يؤدّي إلى تحويل النصّ إلى وثيقة زمنية جامدة، تخلّي بالبعد المنهجي والرسالي لذاك النص

– نحو قراءة مضبوطة للسيرة بين الثابت والتأويل

ينبغي أن تنطلق قراءة السيرة النبوية من إدراك موقعها بين النصّ القرآني والواقع الإنساني، وتمرّ عبر ميزان الثابت والمتغيّر، وتُخضع نفسها لمنطق مقاصدي صارم، يوازن بين:

1. مرجعية النص لا عبء الحدث
2. حكمة الرسول لا مجرد استجابات الواقع
3. المآل المقصدي لا الظاهر الإجرائي

ومن ثمّ فإنّ القراءة التأسيسية لسيرة النبي ﷺ تقوم على ثلاث دعائم، هي:

1. السيرة نصٌ بلاغي تأسيسي لا مجرّد سرد تاريخي
2. النص النبوي يُفهم في ضوء الثابت القرآني
3. التأويل التاريخي مسموح بضوابط، لا مشرّع على إطلاقه

المبحث الخامس : ثوابت الخطاب القرآني في بناء النموذج النبوي: المفهوم، والوظيفة، والتمثيل

– مفهوم ثوابت الخطاب القرآني

تشكّل ثوابت الخطاب القرآني الأساس المرجعي الذي تنتظم على هديه كلّ أبعاد السيرة النبوية، فهي المبادئ والقيَم القرآنية التي لا تتبدّل، ولا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان، ولا تخضع لمزاج التأويل أو ضغط السياق السياسي أو الاجتماعي، بل تمثّل نواة البنية الرسالية الإسلامية التي جاء النبي ﷺ ليُجسّدها، لا ليؤسّسها من عنده، ويمكن لنا وضع حدٍّ لهذه الثوابت بكونها مجموعة القواعد والمقاصد والمفاهيم القرآنية التي تمثّل معايير كلّية فوق التاريخية؛ فالفكر الإسلامي الحيوي لا يُفهم إلّا عبر مناهج لاهوتية تأملية متوازنة بين العقل والواقع، لا عبر مناهج تاريخية غربية ضيقة، وتلك مطامح الغرب لليوم بحركاته الاستشراقية الهدامة التي كان يسعى عن طريقها لصوغ الإسلام ضمن عقود وآراء تاريخية لتقليص قوته الرسالية والثباتية، ما يعني تجاهل القواعد القرآنية الثابتة، وتحويل الإسلام إلى وثيقة تاريخية جامدة، فالحضارة الإسلامية بوصفها امتدادًا للنموذج النبوي فإن هويتها لا تُبنى إلّا على أسس قرآنية كلية ومستقرة، واسعة من نحو(العدالة، العلم، الأخلاق، والحرية) وهذه هي المعايير لرصد التأويلات الصحيحة للنصّ القرآني[9- ص،18،26،28]، وعلى غرارها يُقاس صدق الفعل التأويلي في ذلك النص، وبها تُبنى المعالم المثالية للأُنموذج النبوي، أي أنّها ليست أحكامًا تشريعية فحسب، بل خطابٌ مؤسِّسٌ للهوية والرؤية والسلوك، وما فعله النبي ﷺ في مقام التأسيس لم يكن إلّا ترجمة متدرّجة متحقّقة لهذه الثوابت.

– الوظيفة التوجيهية للثوابت القرآنية في تكوين السيرة

تمارس ثوابت الخطاب القرآني ثلاث وظائف تأسيسية في بناء النموذج النبوي، هي:

أ- الوظيفة المعرفية(التصورية): توفّر هذه الثوابت الإطار المفهومي الذي يتحرّك فيه الخطاب النبوي، فالمفاهيم الكبرى مثل: [التوحيد، الأمة، الشورى، العدل، الإصلاح، الجهاد، الابتلاء...] هي مفاهيم تأسيسية تَفرض على كلّ قول أو فعل نبوي أن يتنزّل في إطارها، لا أن ينقضها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾[1 - الشورى: 52]، وقوله ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [1- الأنعام: 92] فالسياق هنا يؤكّد أن الوحي يُراد به تأسيس تصوّر لا مجرّد خطاب ديني، والنبي هو من يُنذر به في ضوء هذه المرجعية.

ب- الوظيفة القيمية(المعيارية): تقوم الثوابت بدور المعيار الأخلاقي والقيمي الذي يُحتكم إليه؛ فإذا وقع تأويل ما لحدث من السيرة النبوية يُختبر بمدى موافقته لهذه الثوابت، نحو:

- مفهوم الرحمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [1- الأنبياء: 107]
- مفهوم العدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [1- النحل: 90]

كل قراءة للسيرة أو موقف نبوي لا يتّسق مع هذين الأصلين فهي بلا شكّ قراءة مختلّة من حيث المقصد التأسيسي.

الوظيفة التشريعية(السلوكية): الثوابت القرآنية ليست تجريدًا ذهنيًا، بل تُترجَم إلى أوامر نبوية وتشريعات عملية، كما في: قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [1- الكوثر: 2] ⟵ فعل تعبّدي تأسيسي

وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [1 - الأعراف: 199] ⟵ قاعدة للسلوك السياسي والاجتماعي

فالنبي ﷺ لم يبتدع هذه التشريعات، بل مثّلها عمليًا ضمن شروط السياق.

– تمثيلات الثوابت في خطاب النبي ﷺ التأسيسي:

في خطبه السياسية: ترسيخ الوحدة والمرجعية، ففي خطبة المدينة عقب الهجرة، قال رسول الله ﷺ: ((المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يَدٌ عَلَى من سواهم، ألَا لا يُقتلُ مؤمنٌ بكافرٍ، ولا ذو عَهْدٍ في عَهده))[11- 22/2] ، وهنا نلحظ:

- تجلّي مفهوم العدل والمساواة.
- تأسيس الهوية الجماعية.
- تثبيت مبدأ التحاكم الداخلي وفق المرجعية الواحدة.

وفي خطابه التعبوي: ترسيخ التصوّر العقدي، نحو قوله ﷺ في بدر: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[24- 481/3] ، فهذا الخطاب يُفعّل:

- مبدأ الجزاء الأخروي بوصفه محرّكًا دنيويًا.
- قيمة الصبر واليقين.
- مفهوم الجهاد المؤسس على الإيمان لا على الغلبة.

وفي خطبه النهائية: توطيد القيم المرجعية، نحو خطبة حجة الوداع؛ إذ قال النبي ﷺ: ((ولا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم))[28 - 93/3] ، وهنا يتجلّى:

- ترسيخ مفهوم المساواة التامة
- إبطال التراتب العرقي
- تثبيت معيار التقوى بوصفه قيمة قرآنية مرجعية تأسّيًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [1 - الحجرات: 13]

– ضبط التأويل بتاريخية الحدث في ضوء الثابت

أحد أخطر الأخطاء في مقاربة السيرة النبوية هو الإفراط في قراءتها من خلال التاريخ المحض من دون ردّ كلّ حدث وموقف إلى ثابت قرآني أعلى؛ فالثابت هو الذي:

- يضبط التأويل
- يمنع الإسقاط الأيديولوجي
- يحمي النص من التسييس

وقد عبّر الطاهر بن عاشور عن هذا المعنى في معرض حديثه عن ارتباط ألفاظ القرآن الكريم بالمقاصد وحفظ الدين قائلًا: ((مَقَاصِدِ الدِّينِ وَقَدْ أَوْدَعَ ذَلِكَ فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الَّتِي خَاطَبَنَا بِهَا خِطَابًا بَيِّنًا وَتَعَبَّدَنَا بِمَعْرِفَةِ مُرَادِهِ وَالِاطِّلَاعِ عَلَيْهِ ... لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ خِطَابِ الْعَرَبِ بِالْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ التَّشْرِيعُ قَاصِرًا عَلَيْهِمْ أَوْ مُرَاعِيًا لِخَاصَّةِ أَحْوَالِهِمْ، بَلْ إِنَّ عُمُومَ الشَّرِيعَةِ وَدَوَامَهَا ... [مقصد] تَصْفِيَةُ نُفُوسِ الْعَرَبِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ كَمَا قُلْنَا لِتَلَقِّي شَرِيعَتِهِ وَبَثِّهَا وَنَشْرِهَا، فَهُمُ الْمُخَاطَبُونَ ابْتِدَاءً قَبْلَ بَقِيَّةِ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ))[18 - 39/1]

، ومن ثمّ فالرسول ﷺ لا ينفصل في سلوكه وأفعاله عن مقاصد القرآن، ولا تُفهم أفعاله ﷺ إلّا في ضوء تلك المقاصد وإن بدا عمله مناسبًا لظرف ما، فالمقصد القرآني هو ضابط التأويل.

المبحث السادس : تاريخية الحدث النبوي بين المقتضى السياسي والمقصد البلاغي

إنّ تاريخية الحدث النبوي لا تعني نزع القداسة عن أفعال النبي ﷺ أو ردّها إلى السياق الظرفي المحض، بل تعني النظر إلى أبعاد المقام والسياق والملابسات السياسية والاجتماعية التي أحاطت بالفعل النبوي، وهو ما يمنح الباحث قدرةً على التفريق بين: ما كان فعلاً خاصًّا بمقام معين (ذو تاريخية محدودة)، وما كان قولًا تأسيسيًا يتجاوز الظرف إلى سائر الزمان، وقد أشار الجابري إلى أهمية حقيقة هذا التفريق بقوله: ((فنحن لا نتردد في ادعاء أنّنا نشعر بالتوفيق في "قراءة القرآن بالسيرة، وقراءة السيرة بالقرآن". ذلك أن هذا النوع من القراءة المزدوجة قد مكنّني من التعرّف على حقيقة ذلك السرّ الّذي أشرت إليه في نهاية خاتمة المدخل إلى القرآن عندما كتبت أقول: "وعلي أن أعترف الآن أنّ هناك سرًّا لم يستطع عقلي اكتناه حقيقته: إنه هذا الذي عبرنا عنه بـ "العلاقة الحميمية" بين الرسول محمد بن عبد الله وبين القرآن الحكيم"))[16-15/1]، فالجابري يؤكد أن منهجه في التفسير القائم على حسب ترتيب النزول، الذي أومأ إليه بالقراءة المزدوجة للقرآن والسيرة، هما من أوصلاه إلى إدراك سرّ العلاقة العميقة بين الرسول ﷺ والقرآن بما يفوق القراءة التاريخية المجردة، أي أنّ الفهم الحقيقي للسيرة من وجهة نظره يتطلّب:

1.قراءة تاريخية منسقة وفقًا لترتيب النزول؛ لتحديد موقع الحدث.

2.قياس هذا السياق بالمقاصد القرآنية لا الاكتفاء بالبعد السياسي أو التاريخي فقط.

وتلك القراءة هي التي نُسميها بـ[التأويل الوظيفي] وهي كفيلة بأن تُعيد للفهم النبوي أصالته وقيمته؛ إذ لا يمكن فهم السيرة إلا بردّ الفعل النبوي إلى سياقه، شرط أن يُقاس هذا السياق بمقاصد الوحي لا باعتبارات السياسة الزمنية وحدها.

– المقتضى السياسي في الحدث النبوي

للنبي ﷺ -بصفته قائدًا للدولة- مواقف اتخذها استجابةً للضرورة السياسية والاجتماعية من دون أن تكون بالضرورة تشريعًا عامًا أو تأسيسًا دائمًا. ومن هذه المواقف:

- صلح الحديبية: الذي قبل فيه بشروط ظاهرها مجحف، كعدم كتابة [رسول الله]، وردّه من أسلم من قريش، قال الله تعالى عن هذا الحدث: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [1- الفتح: 1]، والتحليل البلاغي للنّصّ يكشف النقاب عن أنّ:
  - الحدث لم يكن مجرد صلح، بل كان مقصدًا بلاغيًا تأسيسيًا للمرحلة الدعوية المقبلة.
  - الموقف النبوي كان سياسيًا في الظاهر؛ لكنّه بلاغي تأسيسي في المآل؛ إذ أرسى قيمة (المرونة الاستراتيجية) ضمن مقاصد الحفاظ على الدعوة.
- توزيع الغنائم بعد حنين: لقد خصّ النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم بنصيبٍ أكبر من الأنصار، ممّا أثار تساؤلات، فخطب في الأنصار قائلاً: ((أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ))[4 - 551/6] ؛ وإذا ما حلّلنا النص نستجلي الآتي:
  - الخطاب يربط بين التوزيع السياسي والمقصد التربوي البلاغي.
  - النبي ﷺ استعمل بلاغة العاطفة الجمعية لا لتبرير فعل سياسي، بل لتأسيس رابطة إيمانية تتجاوز الغنيمة إلى المعنى.

– المقصد البلاغي في تفعيل الحدث التاريخي

ليس كل فعل سياسي يُفهم بوصفه سياسةً فحسب، بل كثير منها يحمل مقاصد بلاغية تأسيسية، ومن ذلك:

- غزوة تبوك: فعلى الرغم من أنّها لم تُفضِ إلى قتال، فإنّ النبي ﷺ أصرّ على الخروج على الرغم من المشقّة الشديدة، وخطب في الناس حاثًّا إياهم على النفير: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا))[30- 1045/3] ؛ وفيه هذ الحديث نقف عند أمرين:
  - المقصد البلاغي هنا هو تأسيس مبدأ المشاركة الرمزية في الجهاد.

- الموقف سياسي عسكري ظاهريًا؛ لكنّه بلاغي تربوي من حيث المقصد، يُفعِّل قيم التضامن والتكافل.
- منع بعض المسلمين من تدوين أحاديث في حياة النبي ﷺ : فقد روى مسلم أنّ النبي قال: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[30-229/8] ؛ وإذا ما حلّلناه بلاغيًا نلحظ أنّ:
- هذا التوجيه يُفهم في ضوء مقام حماية الثابت القرآني من امتزاجه بالقول البشري، وهو مقتضى سياسي رمزي لحفظ النَّص.
- المقصد البلاغي هو ترسيخ مرجعية القرآن أولاً في الوعي الجماعي قبل السماح بالاجتهاد والتدوين.

– ضوابط التعامل مع الحدث التاريخي

إذا أردنا أن نقرأ الحدث النبوي في ضوء مقتضاه السياسي من دون أن نخسر المقصد البلاغي التأسيسي، وقد لخّص الأنصاري هذه العلاقة بقوله:((لا سبيل إلى كل ما ذكر من بلاغات قرآنية؛ إلا عن طريق اتباع المبلغ: محمد بن عبد الله، رسول الله إلى العالمين، هذه عقيدة، بل أصل من أصولها الكبرى، وكلّي من كلّياتها العظمى، لا استقامة لشيء من ذلك كلّه إلّا به، وإن شئت فقل: هذا هو البلاغ القرآني الجامع، والضابط الكلي المانع))[3 - ص145] ؛ ومن ثمّ فالحدث النبوي يُقرأ بوصفه نصًّا رمزيًّا، لا مجرد واقعة زمنية؛ لأنّ فيه من الإشارات المقصدية ما لا يُفهم إلا بمنطق الرسالة، فهو ﷺ القرآن كلّه مطبقًا، والإسلام كلّه حيًّا متحركًا.

المبحث السابع : حدود التأويل التاريخي في فهم الفعل النبوي: بين تسييس السيرة وتوجيهها القيمي

التأويل التاريخي هو منهج يسعى إلى تفسير النصوص والأفعال النبوية في ضوء ظروفها الزمانية والمكانية بوصفها ردود أفعال بشرية محكومة بمعطيات الواقع لا باعتبارات الوحي فحسب، ويقوم هذا المنهج على ركيزتين:

أ- أولوية السياق التاريخي في تشكيل المعنى.

ب- النظر إلى النبي ﷺ بوصفه قائدًا اجتماعيًا يُجيد المناورة ضمن بيئته.

وقد نشأ هذا المنحى بوصفه ردَّ فعلٍ على القراءات القداسية الصارمة التي عطّلت الفعل النبوي من أي بُعدٍ واقعي أو ظرفي، فضلاً عن كونها إهدارًا للبُعد التاريخي وفي هذا الصدد يقول نصر أبو زيد: إنّ((الاستناد إلى سلطة السلف والتراث، واعتماد نصوصهم بوصفها نصوصاً أولية تتمتّع بذات قداسة النصوص الأولية تكثيفاً لآلية إهدار البعد التاريخي [ممّا تسهم] في تعميق اغتراب الإنسان والتستر على مشكلات الواقع الفعلية في الخطاب الديني))[2 - ص95]، وعليه فالنبوة ليست تعطيلًا للعقل، بل تمثّل تفاعلًا حيويًا بين المعنى والواقع، ومهمة التأويل هي استعادة ذلك التفاعل ضمن شروط العصر، ومع هذا فإنّ لهذا المنهج حدودًا معرفية ومقاصدية لا يجوز تجاوزها؛ وفي حالة تجاوزها ستكون النتيجة الحتمية لمثل هذا المنهج تأبيد الواقع وتعميق اغتراب الإنسان فيه، فالنبوة ليست حجر عثرة أمام العقل، بل متنفس له في الفهم، ويمثّل التأويل ههنا نشاطًا يعيد صلب[النص، والعقل، والواقع]، فمن دون التفاعل العلائقي بين النص والواقع فإنّ ذلك النص سيتحوّل إلى تراكم لغوي خشبي، وهنا تتوثق رسالة التأويل في إحياء علاقة الإنسان بالنص والدين في كل عصر.

– مظاهر تسييس السيرة في القراءات الحداثية

في بعض المقاربات المعاصرة يُختزل الفعل النبوي في بُعده السياسي، وتُقرأ السيرة بوصفها مشروعًا لتأسيس سلطة لا بلاغ رسالة، وهو ما يُفضي إلى عدد من الانزلاقات، من نحو:

1- تحويل النبوة إلى ظاهرة اجتماعية: إذ تُقدَّم النبوة وكأنّها نتاج لحراك اجتماعي وليس وحيًا إلهيًا، كما نجد عند بعض باحثي الأنتروبولوجيا الدينية، مما يُنزع معه البُعد القداسي للخطاب النبوي.

2- إعادة تفسير المواقف الدعوية بوصفها خططًا تكتيكيةً محضة: -على سبيل التمثيل لا الحصر- يُقرأ صلح الحديبية على أنّه مجرد هدنة لالتقاط الأنفاس عسكريًا، لا تأسيس لبلاغ الرحمة، أو تُقرأ حجة الوداع كوصية سياسية بدل أن تكون ذروة البلاغ الأخلاقي.

3- إسقاط القيم الليبرالية الحديثة على الفعل النبوي: فيُعاد تفسير مفاهيم مثل [الشورى] أو [الحرية] بما يوافق التصوّرات الغربية من دون اعتبار للبيئة النصّية أو المقاصد القرآنية.

وقد حذر الباحث منير البقمي من هذه المزالق من جهة قيام((آراء العلمانيين في تقويمهم للسيرة النبوية على المادية التي تنكر صحّة المعرفة الدينية وإن أوهموا بالاستدلال بها في بعض الأحيان، فإنه ما يلبث أن تكشفه طريقتهم التوظيفية ... العلمانيون في حقل دراسة السيرة النبوية ما هم إلّا صدى لصوتين عاليين، وأحيانًا يتم المزاوجة بينهما: الصوت الاستشراقي المعادي لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم من منطلق ديني له خصومته مع الإسلام، والصوت المادي الذي فسّر التاريخ تفسيرًا ماديًا))[19- ص495] ، وكما نلحظ فالخطاب العلماني-التاريخي يفكّك السيرة عبر ضبطها بمنهج أجنبي، ممّا يحوّلها إلى وثيقة مستقلة عن مقاصد الرسالة الإسلامية، ويغذّي زيفًا تحليليًا يُفقدها البُعد الرسالي.

بناءً على ما تقدّم فالسيرة النبوية إذا تحوّلت إلى وثيقة تاريخية محضة، فإنّنا نفقد القدرة على استلهامها رساليًا، ونحوّلها إلى أثر متحفي لا خطاب حي.

– الأسس القيمية لتوجيه الفعل النبوي

في مقابل تلك القراءات التسيسية تبرز مقاربة أكثر اتزانًا ترى في أفعال النبي ﷺ نماذج قيمية تركّز على:

1- الرسالة لا السلطة: فالنبي ﷺ لم يكن طامحًا إلى حكم بالمعنى السياسي، بل إلى إقامة مجتمع يشهد لله بالوحدانية ويقوم على العدل، ولهذا قال: ((إِنَّمَا أَنَا

رَحمَةٌ مُهدَاةٌ))[5- 19/1].

2- القيم لا الغَلَبَة: إذ إنّ النبي ﷺ لم يُؤسّس قيمه على منطق الانتصار، بل على الثبات القيمي حتى في مواضع الانكسار، كما في خطابه عَقب أُحد حين واجه اللوم بقوله: ((اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي))[12 - 686/1]

3- القدوة لا التكتيك: فخطاب النبي لا يُقرأ بمنطق الحنكة السياسية فحسب، بل بمنطق القدوة الأخلاقية، وهو ما يثبته خطابه يوم فتح مكة: ((مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفيَانَ فَهُوَ آمِنٌ))[32 - 686/1] ، فهو موقف يُؤسّس لمبدأ العفو العام والاندماج بدل الإقصاء أو الانتقام.

– معايير تأويل الفعل النبوي تأويلًا مسؤولًا

لكي يُمارَس التأويل التاريخي بوعي شرعي ومقاصدي فلا بدَّ من اعتماد معايير ضابطة تحفظ توازن السيرة بين بعدها الإنساني ومرجعيتها الرسالية، وقد أجمل الماوردي هذه المقاربة بقوله: إنّ نبوة محمد ﷺ ((أعمّ النبوات إعجازًا، وأوضحها طريقةً وامتيازًا، وأكثرها تأييدًا إليها وتعبّدًا شرعيًا، تقهر شواهدها مَن باينَ وعاندَ، وتحجُّ دلائلها من ناكرَ وجاحدَ لأنّ المهيأ منه مطبوع على آلته ومنقاد إلى غايته حتّى يتدرج إليه بغير تكلّف ويستقر فيه بغير تصنع فلا يشتبه من تعاطاه بمن طبع له فصح التطبّع بشيمة المطبوع ... ولا مَنزِلَةَ في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده ، تَبْعَثُ على مصالح الخلق وطاعة الخالق، فكان أفضَلُ الخلق بها أخَصَّ، وأكملهم بشروطها أحق وأمسّ))[13 - ص71،215]

بناءً على ما تقدّم فـ((إذا كانت كتب السيرة قد وقفت عند ذكر الوقائع والأحداث، فالقرآن الكريم كان يذكر الحدث ويعقب عليه ويبيّن ما فيه من أحكام شرعية تتجاوز ظروف الحدث ويلتزم بها المسلمون في كل عصر ومصر))[9 ص76] ؛ ومن ثمَّ فإذا ما كان الأسلوب القرآني يمتاز بفرادته في عرض الأحداث من حيث كينونته فريدًا في بيانه المعجز، فريدًا في دقّة وصفه؛ فإنّ القول النبوي وبحكم كونه البلاغ القرآني والسفير الحميم بين الخالق والمخلوق فمن دون شكّ أنّ هذا الأسلوب الفريد سينسحب إليه من حيث إنّه لا يُقرأ من ظاهر ألفاظه، بل من نظام قيمه، ومقاصد رسالته، وبلاغة تمثيله للوحي في الحياة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول بلاغة التأسيس في السيرة النبوية من خلال جدلية الثابت القرآني والتأويل التاريخي يتضح لنا أنّ قراءة السيرة النبوية لا يمكن أن تتحقّق إلّا عبر توازن دقيق بين:

- المرجعية الثابتة للنص القرآني بوصفها الإطار القيمي والبلاغي الذي ينظّم كلّ فعل ونطق نبوي.
- فهم التأويل التاريخي للأحداث والسياقات التي احتضنت هذه الأفعال والنصوص بما يمكّننا من فهم التطوّرات والتجلّيات المتغيّرة التي تراوحت بين خصوصية الظرف ومطلقيه الرسالة.
- كشف البحث أنّ الخطاب النبوي لا يمثّل سردًا تاريخيًا أو وثيقة سياسية فحسب، بل هو خطاب تأسيسي مؤسّس لقيم وأُسس تتجاوز الزمان والمكان، تتطلّب فهمًا يجمع بين الحياد التاريخي، والحساسية القيمية، في قبالة إنّ الإفراط في التسييس والتاريخية على حساب الثوابت القرآنية قد يؤدّي إلى تقويض صرح الرسالة، وتحويل السيرة إلى مجرّد [أثرٍ] أو [وثيقة] ليس إلاّ.
- إنّ التفاعل الجدلي بين الثابت القرآني والمتغيّر التاريخي هو مدخل لفهم أعمق وأشمل للسيرة النبوية، يُعزّز قدرتنا على الإفادة من هذا النموذج التأسيسي في بناء خطاب إسلامي معاصر قادر على مواجهة تحدّيات الواقع المعاصر بحكمةٍ وثباتٍ، وهذا التوازن هو ما يجعل من السيرة النبوية مصدرًا حيًا، لا أثرًا متحجّرًا، ونموذجًا متجدّدًا، لا نصًّا جامدًا.
- اظهر البحث الترابط والعلاقة الوثيقة بين التاريخ واللغة العربية(البلاغة) والتي هي من اسس القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب.

قائمة المصادر والمراجع

1. القران الكريم (كتاب الله المجيد)

2. الأزهري ، ابي صالح عبد السميع ، الثمر الداني في تقريب المعاني(شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني)، المكتبة الثقافية، بيروت، (د.ت).

3. الأنصاري ، فريد، بلاغة الرسالة القرآنية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م.

4. ابن حنبل ، أحمد بن محمد(ت241هـ/855م)، مسند أحمد ، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ، ط1، ١٩٩٥م.

5. أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قينيني، مراجعة سعيد بحيري، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م.

6. البخاري ، محمد بن إسماعيل(ت256هـ/869)، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥،١٩٩٣م.

7. البقمي ، منير بن حامد بن فراج، نقد القراءة العلمانية للسيرة النبوية، مركز التأصيل للدراسات والأبحاث، جدة، ط1 ، 2022م.

8. بول ، ريكو ، الذاكرة التاريخ النسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009م.

9. البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت 458هـ/1065م)، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣،٢٠٠٣م.

10. تمام ، حسان ، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة،1993م.

11. الجابري ، محمد عابد، فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء-المغرب، 2008م.

12. الجناجي ، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، دار الطباعة المحمدية القاهرة ، ط1، ١٩٩١م.
13. الجندي ، أنور، الاستعمار والإسلام، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، المطبعة الفنية، القاهرة، (د.ت).
14. الحاكم النيسابوري ، ابي عبدالله محمد بن عبدالله (405هـ/1014م) المستدرك على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٩٩٠م.
15. ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي(ت354هـ/965م) صحيح ابن حبان ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط2، 1993م.
16. حسن ، حنفي ، التراث والتجديد، دار الكتاب الثقافي، اربد-الأردن، ط1، 1996م.
17. أبو زيد ، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، دار سينا للنشر، القاهرة ، ط2، 1994م.
18. السامرائي ، فاضل، التعبير القرآني، دار عمار، عمّان، ط2010،7م.
19. زين العابدين ، محمد سرور بن نايف، دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقم للنشر والتوزيع، برمنجهام- المملكة المتحدة ، ط1988،2م.
20. الشاطبي ، إبراهيم بن موسى(ت 790هـ / 1388م) ، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت ، (د.ت).
21. الشامي ، صالح أحمد، السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 2002م.
22. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد(ت 1255هـ/1839م)، نيل الأوطار من احاديث سيد الاخيار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م.
23. طه ، عبد الرحمن، السيرة النبوية والتأسيس الأخلاقي، مركز النهوض للدراسات والأبحاث، الكويت، ط1، 2024م.
24. الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن(ت460هـ/1067م) عدة الأصول، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، مطبعة ستارة، قم المقدسة، ط1، ١٤١٧هـ .
25. ابن عاشور ، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
26. ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني(ت275هـ /888م) ، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
27. الماوردي ، علي بن محمد(ت450هـ/1058م)، أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، ١٤٠٩هـ
28. المتقي الهندي ، حسام الدين ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط1985،5م.
29. محمد ، عمارة، المشروع الحضاري الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1، 2008م.
30. مسلم النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) : ، تح: محمد ذهني أفندي وآخرون، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ.
31. أبو موسى محمد حسنين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
32. ابن هشام الحميري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب (ت218هـ/833م) ، السيرة النبوية ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة ،١٩٦٣م.

- **البحوث والمقالات**

33. رضوان ، السيد، متغيرات العصر وجهود التأويل، مقالة، صحيفة المثقف، 5 أيار 2024.
34. سيد ، علي ، امة لا تدرس التاريخ ، مقالة صحيفة الاهرام ، العدد(50298) ، الخميس 17 صفر 1446هـ / اغسطس2024
35. بوشعالة ، فتيحة محمد ، الأبعاد الحضارية والإنسانية في الخطاب النبوي من خلال خطبة "حجة الوداع، بحث منشور، مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية، مج(21)، عدد(2)، 2022م.
36. فيروز ، عثمان صالح، البيعة في النظام السياسي الإسلامي، بحث منشور، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، 2010م.
محمد ، مختار جمعة، حديث الجمعة.. تصرفات النبي في إدارة الدولة ، مقالة، صحيفة الأهرام، العدد(48143)، الجمعة 18محرم1440هـ-28سبتمبر2018.